والجلاء لا الغموض والغرابة .

لذلك أصبحت فى معاجم لغتنا ألفاظ كثيرة ليس لها قيمة إلا أنها أثرية تحفظ فيها كما تحفظ التحف فى دار الآثار .

والضرب الثانى : ألفاظ تخلق خلقا ، تلك الألفاظ التى تساير المدنية الحديثة بكل ما اخترعت من أدوات وصناعات ، وما ابتكرت من فن وعلم ومعانى وآراء . واللغة العربية اليوم ، قاصرة كل القصور فى هذا الباب . فليس لدينا ألفاظ لكثير مما اخترع وابتكر ، وهذه مشكلة المشاكل اليوم وقبل اليوم تجادل العالم العربى فيها طويلا ولما يستقر على حال

وكان لقصور الألفاظ أثر كبير فى ضعف الأدب . فكيف يستطيع الأديب أن يصف حجرة وكل مافيها من أثاث ليس له ألفاظ تدل عليه ؟ وكيف يستطيع الكاتب أن يؤلف رواية ، وهو فى كل خطوة يعثر بمسميات لا أسماء لها ؟ ولذلك يهرب كثير من الأدباء من التعبير الخاص الى التعبير العام ، فاذا أراد أن يصف رجلا يلبس طربوشاً قال إنه يلبس عمارة أو قلنسوة ، والحقيقة أنه لا يلبس عمارة ولا قلنسوة ، وإنما يلبس طربوشا ، واذا أراد أن يقول إنه يضرب على البيانو قال إنه عزف على آلة موسيقية ، وهذا منتهى الفقر فى التعبير .

كل هذا حقن الأفكار فى أدمغة الأدباء ، وسبب ضعف الوصف والرواية وغيرهما فى الأدب العربى الحديث ، وجعل الأدباء يفرون الى الموضوعات الانسانية العامة ، والأفكار الميتافيزيقية ، فان نحن شئنا أن يكون الادب ظلا لحياتنا ، وحياتنا الآن ، وجب أن نحل مشكلة الألفاظ حتى يطلق الأدباء من أغلالهم ، وإلا ظلوا يدورون حول أنفسهم ، وظل أدبهم غذاء ناقصا للامة ليس فيه كل العناصر التى لابد منها للحياة .

وهناك تجديد فى مناحى أخرى غير الألفاظ نعرض لها فى مقالات تالية إن شاء الله ؟

الثور فى مستودع الخزف

للدكتور محمد عوض محمد

جعل الثور يطوف فى نواحى المدينة ، ويجول فى طرقاتها فى ساعة غفل فيها الرعاة ، وغاب الحراس . فلم يزل يمشى على غير هدًى ، حتى ساقه القدر المحتوم إلى مستودع الخزف :

فى دار صغيرة متعددة الحجرات . جمع أهل المدينة تراثهم الخالد — أو الذى حسبوه خالداً — من خزف قديم وحديث .

وصناعة الخزف أقدم صناعات الانسان جميعاً . بدأ يمارسها منذ آلاف السنين ، وهو بعد فى مثل سذاجة الأطفال . فكانت فى العصور الأولى شكولا ساذجة ، وصوراً بسيطة . يراد بها النفع والفائدة ، لا الزينة والحسن . فلا نقش فيها ولا تزويق ، ولا إتقان فى الصنع ولا إبداع . ثم لم تزل ترقى برقى الانسان ، وتمشى وإياه جنباً إلى جنب ، وتحاكيه فى تقدمه ورفعته ، حتى غدت فناً من أجل الفنون ، وصناعة من أشرف الصناعات . وأبدع فيها الخيال البشرى أيما إبداع ، فأصبح منها اليوم ما يعد تحفة القرون وفخار الفنون .

* * *

وهذه المدينة عريقة فى صناعة الخزف البديع ، قد نبغ فيها فى جميع العصور ، رهط من كبار رجال الفن ، فرفعوا فى العالم ذكرها . وحلقت شهرتها فى سماء الفنون . ولم يكن لها فى هذه الصناعة ضريب .

وفى هذه الدار الصغيرة ، قد أودع أهل المدينة خير ما أنتجته قرائح بنيها على مدى القرون ، لكى تكون معرضاً لهذه الصناعة ، يزورها الناس فى كل آونة ، فتنعم عيونهم بما فيها من جمال باهر ، وتنعم نفوسهم بما يبعثه الجمال فى النفس من سعادة وغبطة . فكان بابها مفتوحاً النهار كله ، يقصد اليها الناس على الرحب والسعة ، فى كل ساعة من الزمان .

* * *

وفى ساعة نامت فيها ملائكة السعد واليمن ، واستيقظت

أبالسة النحس والشؤم ، ساقت المقادير العجيبة الغريبة . ذلك الثور العنيف المخيف ، إلى هذه الدار — من دون الديار جميعاً !

ولم يلبث طويلا حتى حمله أرجله إلى داخل الدار . فأجال عينيه فيما حوله ، فاذا أمامه آيات الفن ، مصفوفة على المناضد والرفاف : من أوانى قد لبستها الحسن يدُ صناع ، وتعاونت على نقشها وتصويرها البراعة والخيال . . . ها هنا صورٌ تمثل الطبيعة بزهرها ونورها ، وخضرتها ونضرتها ، وأنهارها وعيونها ، ومدنها ودوحها ، ومائها وسمائها . . . وهناك صُوَرٌ تمثل الطبيعة كما يراها خيال العبقرى ، لا كما يراها الناس ، فيزيد فى حسنها حسناً ، وفى شكولها أشكالا وضروباً . . .

وها هنا صور للحياة ، تذكرنا وصف أبى نواس للكؤوس ، تتمثل فيها الناس فى جدهم ولعبهم ، وفى سرورهم وكدهم : وحين يربحون وحين يسرحون ، وحين يدأبون وحين يمرحون . . ومن تماثيل ذات حسن عزيز : كأنما نصبت هنالك لتقيم المعاذير لمن عنّت الأوثان . ومجدّ الأصنام : منها القائم الناهض ، والجاثم الرابض ، والمتكىء والمستلق ، والساكن الهادىء ، والثائر الثائر . . . بعضها قد ألبس ثوباً أو بعض ثوب ، وبعضها عارٍ إلا من الحسن . وكلها آيات فى الابداع والابتكار .

فتبارك الأيدى القديرة ، التى أحالت الطين والصلصال ، إلى كل هذا الجمال والجلال ! .

***

رأى الثور هذا كله ، وما برأسه إدراك للفن أو تقدير للحسن ، وما فى غريزته فهمٌ لهذا الجمال المتسق المؤتلف ، وهذه الصناعة الباهرة الساحرة . . .

كلا . . . بل فى غريزته عنف وبطش ، وتحطيم وتدمير . فأجال فيما حوله نظرة بهيم ، ثم تراجع إلى الوراء قليلا ، ناشراً قرنين حديديين كالفولاذ ، واندفع نحو تلك التحف والطرف ، وصال فيها وجال . . وهى — وا أسفاه ! — عُشَّةٌ ضعيفة ، سهلة المكسر ، لا حول لها أمام العنف ولا قوة . فطاحت تلك الآيات إلى الثرى ، وتناثرت قطعها الغالية فى جوانب الدار !

وحمق الثور فى التدمير الذى أحدثه ، وكأنما راقه منظره ، فأعاد الكرة ، المرة بعد المرة .

وما هى الا دقائق معدودة ، حتى لم يبق بالدار تمثال قائم ، ولا إناء منصوب ؛ بل استحالت جميعاً إلى شظايا مبعثرة ، وأجزاء متناثرة .

وقد اختلط بعضها ببعض ، فما تميز العين أجديدها من قديمها ، ولا طارفها من تليدها ؛ ولا آنية من تمثال ، ولا رأساً من جسم . . . لقد صارت جميعاً أكداساً من الخزف المحطم ليس فيها من اجمال أثر ، ولا يرى فيها شاهد على براعة الصناعة .

فى بضع دقائق استطاع هذا البهيم العنيف أن يقضى على تراث القرون ، وثمار القرائح ، وخلاصة الفن ؛ وأن يحيل هذه الدار ، ولم يكن لها نظير فى جمال التنسيق ، الى دار مرضى قد شاع فيها الخراب والدمار !

***

ولم يكن بالدار غير فتاة ترعاها . فلما أن رأت ذلك الثور المخيف ، وأحست بالشر ، يوشك أن يحدق بالدار ومن بها . فغافلته وهو يلهو بالكسر والتحطيم ؛ وانطلقت تنشد النجدة والمعونة . . .

وبعد لأى أقبل الناس ، علّهم أن ينقذوا البقية الباقية . فلم يجدوا بقية باقية . . .

وهل شفى الغليل أن قُتل الثور ومُزّق كل مُمزّق ؟

إن دماء ثيرة الأرض جميعاً لا تعادل آية واحدة من آيات الفنون !

ويلُ الورى من عنيف أحمق خَرِف .
كأنه الثورُ فى مستودع الخزف .
رأى جمالا وفنا ليس يفهمه
وهاله ما رأى من مُبدَع الطُّرَف
فلم يزل مُرْهفاً قرنيه ، مندفعاً
يجرى ، فيكسر ما ألقى من التحف
كأن فى صدره حقداً وموجدة
لكل شىء بديع الصنع مؤتلف .
وكيف يدرك (ثور) أنّ ذى تُحَفٌ
للحفظ والصون ، لا للحو والتلف ؟